الندوة العلمية الإقليمية
"عبدالرحمن بن خلدون: قراءة معرفية ومنهجية"

الأردن: 21-22 ربيع الثاني 1428هـ، 9-10 مايو (أيار) 2007م

رائد جميل عكاشة*

نظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي/مكتب الأردن، بالتعاون مع جامعة آل البيت الأردنية ندوة علمية إقليمية بعنوان: عبد الرحمن بن خلدون: قراءة معرفية ومنهجية. وجاء التخطيط لهذه الندوة بمناسبة المئوية السادسة لوفاة ابن خلدون، وكان الهدف من تنظيم الندوة، ربط العطاء الفكري لابن خلدون بجهود التغيير والإصلاح الفكري والثقافي في التاريخ الإسلامي، بوصفه صاحب منهجية في النظر والتفكير والبحث والتفسير، وتوظيف هذه الجهود لتحقيق التغيير والإصلاح في الواقع المعاصر للأمة، على أمل أن تتجاوز بحوث الندوة ومداولاتها الحكم الإجمالي على الفكر الخلدوني إيجاباً وسلباً، إلى القيمة الموضوعية لهذا الفكر، وفي سياق رؤيته الكلية ومنهجه في البحث والتفكير، وإلى فهم أبعاد العطاء الفكري والنظرات الخاصة لابن خلدون في السياق التاريخي والاجتماعي لتطور الفكر الإسلامي والفكر الإنساني.

ودارت الندوة في محاور عديدة تمثلت في الأبعاد المعرفية والمنهجية في فكر ابن خلدون، وتفكيره السنني، ومنهجه التاريخي ورؤيته للمصادر الإسلامية الأصلية، وفكره الاجتماعي والتربوي، ودوره في تطور الفكر الإسلامي، ومدى تأثيره في الفكر الغربي، ونظرية العصبية في فكره.

واستجاب لدعوة المشاركة في أعمال الندوة عشرون عالماً وباحثاً من تركيا وتونس وسوريا والعراق والكويت ومصر والمغرب والأردن.

---

* أستاذ الأدب القديم في كلية الآداب بجامعة الإسراء الخاصة/ الأردن.

وتضمن برنامج الندوة جلسة افتتاحية، تحدث فيها كل من الدكتور رائد عكاشة مقرر اللجنة التحضيرية، والدكتور فتحي ملكاوي المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي رئيس جامعة آل البيت.

واستعرضت كلمة الدكتور رائد عكاشة أهداف الندوة ومحاورها، ودور اللجنة التحضيرية في التخطيط للندوة واستكتاب الباحثين وتحكيم البحوث.

بينما أشار الدكتور فتحي ملكاوي في كلمته إلى جهود المعهد في خدمة قضايا الفكر الإسلامي وإبراز حركات الإصلاح ودورها في تطور الفكر الإسلامي، وأكد على منهج التعاون مع جامعة آل البيت وغيرها من المؤسسات الأكاديمية والثقافية، ونوّه إلى ضرورة قراءة ابن خلدون قراءة معرفية ومنهجية.

أما الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي فقد أكّد أن شخصية ابن خلدون تستحق أن تقرأ؛ لما قدمته من أثار علمية خدمت الفكر الإسلامي والإنساني، وبيّن أنّ من أهداف الجامعة إبراز نوابغ الفكر الإسلامي وإظهار إنجازاتهم عبر التاريخ، وإسهاماتهم في بناء المعرفة الإنسانية، وقال إنّ هذه الندوة حلقة مضيئة في سلسلة ذهبية من التعاون البنّاء والمستمر بين الجامعة والمعهد خدمة للفكر الإسلامي المعاصر، لا سيما في القضايا التي تجمع بين علوم الدين والدنيا.

وتضمنت الجلسة الافتتاحية محاضرة ضيف الشرف في هذه الندوة الأستاذ الدكتور أبو يعرب المرزوقي أستاذ الفلسفة اليونانية والإسلامية في جامعة تونس، وكانت المحاضرة بعنوان: (وحدة مقدمة ابن خلدون وبنيتها العميقة)؛ إذ رأى المحاضر أن النظر في مقدمة ابن خلدون يجمع أربعة مستويات: ما فوق النظرية، النظرية المقصودة بالذات من تأليف المقدمة وهي علم العمران، وما دون النظرية المقصودة بالذات أو النظريات الفرعية، وتطبيقات هذه العلوم الفرعية في نقد الأخبار التاريخية وتصحيحها أو تحليل الظاهرات العمرانية وعلاجها. ودعا الدكتور المرزوقي إلى الفصل بين هذه المستويات فصلاً دقيقاً يمكّن من فهم الحبكة النظرية التي حددت معالم الثورة الخلدونية في المجال الجديد الذي فتحه للعقل البشري، بأن جعل فنّ التاريخ مادة

للفكر، وناقش المحاضر وحدة المقدمة في إطارين: إشكالية وحدة المقدمة المعنوية والمادية، والسبل الممكنة لعلاج مسألة وحدة المقدمة.

وانتظمت بحوث الندوة في ست جلسات عمل، فضلاً عن الجلسة الختامية. وتوزع الوقت المخصص لكل جلسة إلى نصفين: الأول لعرض البحوث، والثاني للتعقيب عليها ومناقشتها، وقد كان لهذه المناقشات والمداخلات أثرها في إغناء بحوث الندوة.

وعقدت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور فتحي ملكاوي، المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وتضمنت أربع أوراق، وتحدث فيها كل من: الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الموصل/ العراق، وجاءت ورقته بعنوان: "قراءة منهجية في الفكر الخلدوني"؛ إذ كشفت الورقة عن الارتباط الوثيق بين التصور الإسلامي في خصائصه ومقوماته، والفكر الخلدوني ومعطيات مقدمته في ثلاثة من سياقاتها الأساسية: المعرفة والتربية والتاريخ، وكيف أنه في هذه السياقات عكس تصوراً يُنبئ عن عمقه الإسلامي وهو يتحدث ويحلل قوانين الحركة التاريخية وسننها، ودور الدين في قيام الدول وسقوطها وفي تشكل المعرفة الإنسانية، وفي رفد النشاط التربوي بما يمكنه من الأداء في مستوياته المتقدمة، ونصل بعد ذلك إلى أن هذا النتاج المعرفي وليد البيئة الحضارية الإسلامية.

وجاءت الورقة الثانية بعنوان: "فقه السنن عند ابن خلدون"، للأستاذ الدكتور عدنان زرزور أستاذ الفكر الإسلامي وعلوم القرآن في جامعة البحرين. ورأت الورقة أن مقدمة ابن خلدون أو نظريته هي السنن الاجتماعية والنفسية، وكذلك الكونية أو الطبيعة، فرفض كل ما خالف سنن الطبيعة. ورأى أن المعجزات استثناء لا يقاس عليها، فردّ بناء على ذلك الكثير من أحاديث الشيعة الإمامية في باب العقائد والأصول. ورأت الورقة أن ابن خلدون أفاد مما عرضه القرآن الكريم في السنن الاجتماعية، لا سيما في فهم حركة التاريخ، وقارنت الورقة بين ابن خلدون والشاطبي في مجال المقاصد والإصلاح.

وقدّم الأستاذ الدكتور محمد هشام سلطان نائب رئيس جامعة آل البيت للشؤون الإسلامية، ورقة بعنوان: "التصوف عند ابن خلدون". وتحدثت الورقة عن تقسيم العلوم عند ابن خلدون إلى نقلية وعقلية وإلهامية، وأشاحت الورقة عن علم المكاشفة عند ابن خلدون، وحقيقة الرؤيا عنده، والمقارنة بينه وبين الغزالي في قضية الكشف، وموقفه من عجائب العالم الإنساني ومقارنة ذلك برأي ابن سينا، وسعة عقل ابن خلدون بالنظر إلى المتصوفة والبهاليل وعذرهم فيما هم فيه من عدم التكليف.

وجاءت الورقة الرابعة تحت عنوان: "سيرة ابن خلدون مصدراً لمعرفة مختلفة" وقدمها الأستاذ الدكتور محمد الأرناؤوط، مدير مركز دراسات العالم الإسلامي في جامعة آل البيت، وهدفت الورقة إلى إبراز ما هو جديد ومختلف في سيرة ابن خلدون مقارنة مع المقدمة، والتوقف عند بعض المعطيات التي يسوقها ابن خلدون، وعند ملاحظاته عن الدول التي عمل فيها، وعن صلاته مع بعض الحكام. وأبرزت الورقة أهمية هذا المصدر ارتباطاً بالزمان والمكان اللذين عاشهما ابن خلدون في ظل الهجوم الصليبي والمغولي على العالم الإسلامي.

أما الجلسة الثانية فترأسها الأستاذ الدكتور محمد هشام سلطان، نائب رئيس جامعة آل البيت للشؤون الإسلامية. ونوقشت في هذه الجلسة أربع أوراق، تحدث فيها كل من: الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في عدد من الجامعات العربية والدولية/ مصر. وجاءت ورقته بعنوان: "ابن خلدون وتطور الفكر الإسلامي". وفيها عالج علاقة ابن خلدون بالتراث والمجتمع، وأثره في الفكر الإسلامي والإنساني. وأظهرت الورقة موسوعية ابن خلدون وتفوقه في إبداع علم العمران. وحفل البحث بذكر عشرات المتأثرين بالخلدونية عبر القرون، كما أظهرت تهافت محاولات الانحراف بالخلدونية عن انتمائها العربي الإسلامي.

وقدّم الأستاذ الدكتور قحطان الدوري، عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت، ورقة بعنوان: "الفقه وتاريخه في مقدمة ابن خلدون"، وفيها أسفر عن رأي ابن خلدون في أسباب اختلاف الفقهاء، وفقه الصحابة، ومدرستي الحديث والرأي، وفقه الظاهرية، وفقه الإمامية والخوارج، وأوضح أصول مذاهب الأئمة

الأربعة. ودعت الورقة إلى مقارنة ما ذكره ابن خلدون في مقدمته بما كتبه الآخرون في تاريخ التشريع.

وقدّم الدكتور مصطفى غنيمات، أستاذ الفلسفة والحضارة الإسلامية في جامعة الإسراء الخاصة/ الأردن، ورقة بعنوان: "الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون". وحاول فيها الباحث أن يعطي الريادة لابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع، بناء على ما تمثلته المقدمة من بذور كثير من النظريات الاجتماعية. وتضمنت الورقة أمثلة على الفكر الاجتماعي الخلدوني منها تشبيه الدولة والعمران البشري بالكائن الحي، والعلاقة بين المجتمع البدوي والحضري وسمات كل منهما، وتأثير العصبية في نشوء الدول، وعلاقتها بالدين.

وخُتمت الجلسة الثانية بورقة بعنوان: معالم الفكر التربوي عند ابن خلدون، وقدمها الدكتور علي جبران، أستاذ التربية في جامعة اليرموك/ الأردن. وفيها بيّن أهم معالم البعد المعرفي والمنهجي في الفكر التربوي عند ابن خلدون، وحقيقة الإنسان ودوره في البناء الحضاري وحقيقة العلم والتعلم، وأظهرت الورقة أن ابن خلدون استطاع أن يعالج قضايا التربية ضمن منحى ثقافي حضاري اجتماعي، في حين عالج غيره التربية من مداخل فقهية أو صوفية أو فلسفية أو غيرها.

أما الجلسة الثالثة فترأسها الأستاذ الدكتور علي هود باعباد، الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية. نوقشت فيها أربع أوراق. كانت الورقة الأولى للأستاذ الدكتورة نادية مصطفى، مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات في جامعة القاهرة، وكانت بعنوان: العلاقات الدولية في التراث الخلدوني، وفيها قرأت الباحثة الدراسات الخلدونية لتوضيح مدى الاقتراب من مجال العلاقات الدولية، ولرسم خارطة الاتجاهات والمدارس الفكرية المختلفة حول التراث الخلدوني. وأبرزت الورقة ما يمكن أن يقدمه التراث الخلدوني من إسهام في التنظير للعلاقات الدولية من منظور حضاري، وحاولت رسم خارطة الإشكاليات المنهاجية والمسائل التي يمكن أن يسهم بها التراث الخلدوني في التنظير للعلاقات الدولية في المرحلة الراهنة.

وقدّم الأستاذ الدكتور عبد الله الكيلاني، أستاذ الفقه والأصول في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، الورقة الثانية بعنوان: "منهج ابن خلدون في التعاطي مع النصوص الشرعية في موضوع السلطة والعصبية: فهماً وتحليلاً". وكشفت الورقة عن المنهج العلمي الذي سار عليه ابن خلدون في فهم النص الشرعي في الموضوع الاجتماعي، مع إبراز عدد من التطبيقات الخلدونية، مثل؛ تحليل مفهوم القرشية، ومناقشة بعض أفكار الخوارج.

وجاءت الورقة الثالثة تحت عنوان: "التأسيس الفقهي للسلطنة في الفكر السياسي الإسلامي من إمارة الاستيلاء عند الماوردي إلى مفهوم العصبية والشوكة عند ابن خلدون"، وقدّمها الدكتور عليان الجالودي، مدير وحدة الدراسات العُمانية في جامعة آل البيت. وتساءلت الورقة عن دور ابن خلدون في الإتيان بنظرية جديدة في الفكر السياسي. وهل حاول استيعاب آراء الفقهاء الذين سبقوه، وعمل على صياغتها ضمن رؤية واحدة تأخذ بعين الاعتبار استيعاب مجمل تطورات التاريخ الإسلامي حتى عصره.

وخُتمت الجلسة الثالثة بورقة قدمها الباحث التركي محمد زاهد جول، وجاءت تحت عنوان: "علم الكلام الخلدوني". وكشفت الورقة عن إنكار ابن خلدون لحاجة علم الكلام في عصره، وأبرزت تعصبه في إرجاع نشأة علم الكلام إلى الأشعري، ورأت الورقة أن ابن خلدون لا يُعَدّ في زمرة المتكلمين، فمعرفته الجيدة بمسائل هذا العلم لا ترقى إلى مستوى التجديد والإبداع.

أما الجلسة الرابعة، فترأسها الأستاذ الدكتور إبراهيم شبوح مدير مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي/ الأردن. ونوقشت فيها ثلاث أوراق، استهلها الأستاذ الدكتور عزمي طه السيد، أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة آل البيت، بورقة بعنوان: "مشروع التجديد الفكري عند ابن خلدون"، وحاولت الورقة أن تجيب على سؤال إشكالي، وهو: هل كان في ذهن ابن خلدون مشروع لإصلاح الفكر وتجديده في ظل تراجع الفكر في عصره؟ ورأت الورقة أن تجيب عن هذا التساؤل عن طريق معالجة موقف ابن خلدون من العلوم الفكرية السائدة في عصره وهي؛ الفلسفة والكلام والتصوف.

وكانت الورقة الثانية للدكتور أنور الزعبي، الباحث الأردني المتخصص في فلسفة المعرفة والمنهج، وهي معنونة بـ "عملانية ابن خلدون/ سيناريو التشكل المحتمل"، وفيها أبرز كيفية تشكل فكر ابن خلدون باقتراح سيناريو محتمل لهذا التشكل، وذلك بالاستناد إلى سيرته الشخصية والعملية، وطبيعة إنجازاته المعرفية، والطريقة التي عالج بها المعارف المختلفة. ورأت الورقة أن هناك عناصر كانت وراء هذا الإنجاز تمثلت في؛ الدافعية القوية، والخبرة الكبيرة، والنفعية، وتحصيله الثقافي، والمنهجية القويمة.

وقدّم الدكتور عبد الرحمن العضراوي أستاذ أصول الفقه والفكر الإسلامي بجامعة القاضي عياض في بني ملال/ بالمغرب ورقة بعنوان: "التطبيق المقاصدي في المنهاج الخلدوني" وحاولت الورقة أن تحدد بعض معالم نظرية المقاصد عند ابن خلدون ومستوى التفعيل المنهجي للمقاصد الشرعية في تفسير فلسفة التاريخ، وانطلقت الورقة في تحديدها لهذا المغزى من ثلاثة محاور هي: مفهوم التطبيق المقاصدي عند ابن خلدون ومنهج نظرية ابن خلدون حول العمران البشري، وتجليات التطبيق المقاصدي في المنهاج الخلدوني.

أما الجلسة الخامسة فترأسها الأستاذ الدكتور محمد صقر، أستاذ الاقتصاد في جامعة اليرموك، ونوقشت فيها ثلاث أوراق. وجاءت الورقة الأولى بعنوان: "قراءة في الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون"، وقدمها الأستاذ الدكتور رفعت العوضي، أستاذ الاقتصاد الإسلامي في كلية التجارة بجامعة الأزهر بالقاهرة. وكشفت الورقة طرق اتصال الفكر الاقتصادي الغربي بابن خلدون، والاتجاهات الاقتصادية التي تنازعته، استناداً إلى الأفكار الخلدونية في الاقتصاد، وحاول الباحث أن يثبت ريادة ابن خلدون في التأصيل الاقتصادي، من حيث تفسير الواقع الاقتصادي، وتقديمه لنظرية النمو الاقتصادي، ونظراته في دورة الدخل القومي. وأثبتت الورقة أن آراء ابن خلدون انطلقت من رؤية إسلامية تجاه العالم والحياة.

وقدّم الأستاذ الدكتور أحمد منصور، أستاذ الاقتصاد في كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة الموصل/ العراق، ورقة بعنوان: "العقل والعمران عند ابن خلدون: دراسة في

منهج الفعالية الاقتصادية"، وحاولت الورقة إثبات أن العقل الخلدوني كان مبدعاً اقتصادياً في ضوء عقيدة التوحيد، وأنه أولى العقل البشري مساحة واسعة في قدرته على استيعاب الشريعة، وهدفت الورقة إلى تبرئة ابن خلدون من كل اللبوسات الماركسية والعلمانية، التي حاول جمهرة من المفكرين، على الصعيدين العربي والعالمي، إضفاءها على ابن خلدون.

وتحت عنوان "ابن خلدون والفكر الاقتصادي الغربي"، حاول الدكتور كمال حطاب رئيس قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية بكلية الشريعة في جامعة اليرموك/ الأردن. أن يكشف عن حقيقة العلاقة بين الفكر الاقتصادي الغربي وفكر ابن خلدون، ومدى تأثر الفكر الاقتصادي الغربي بفكر ابن خلدون، وتأثر ابن خلدون بالفكر الاقتصادي الإسلامي، وعلاقة الفكر الاقتصادي اليوناني بفكر ابن خلدون.

أما الجلسة السادسة فترأسها الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، أستاذ الأدب القديم في الجامعة الأردنية، وعضو مجمع اللغة العربية. ونوقشت في هذه الجلسة ورقتان. قدّم الأولى الدكتور محمد علي الأحمد الباحث في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية/ مؤسسة آل البيت الأردن، وجاءت ورقته بعنوان: "نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ: ابن خلدون أنموذجاً". وتناولت الورقة عصر ابن خلدون وأثره في تكوينه الثقافي والعلمي، وناقشت فلسفة التاريخ والمنهجية التاريخية عند ابن خلدون، ومنهجيته في نقد الروايات وقبول الإخبار، وأسباب الكذب والتحريف في الروايات التاريخية عند ابن خلدون، ومدى التزام ابن خلدون بمنهجيته التي اختطها لنفسه أو ابتعاده عنها.

وقدّم الأستاذ بدر الدويش الباحث في علم الاجتماع من دولة الكويت، ورقة بعنوان: "العمران البشري عند ابن خلدون". ورأت الورقة أن نظرية ابن خلدون في العمران البشري تعد الأساس في البناء المعرفي للنظرية السوسيولوجية في مفهومها الحديث، وتناولت الورقة العمران البشري من أبعاد متنوعة، من حيث المفهوم والموضوع، والمهمة والثمرة بإعمال العقل في دراسة الواقع لفهم الماضي، والمنهج والمنطق من خلال التصنيف العمراني.

وتضمنت الجلسة الختامية كلمتي المؤسستين اللتين نظمتا الندوة، وكلمة المشاركين، وتلاوة البيان الختامي، والتوصيات، التي كان منها:

1. التنويه بالتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي وجامعة آل البيت، والدعوة إلى ترسيخ هذا الأسلوب من العمل المشترك بين المؤسسات الأكاديمية والعلمية في بحث قضايا التراث والفكر الإسلامي.

2. التوصية بتنظيم حلقة دراسية تخطط لمشاريع إعداد كتب منهجية في تاريخ العلوم، تضعُ إسهامات علماء المسلمين في موضعها المناسب من تاريخ العلم، وتجمع بين القراءة المعرفية والمنهجية لهؤلاء العلماء، وتوظفها في تطوير المناهج والمشروعات البحثية.

3. توصية جامعة آل البيت والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بإنشاء وحدة أبحاث خلدونية، تتولى قضايا الدراسات الخلدونية وما يلزمها من بحث ورصد وتنظيم وتقويم وترجمة ونشر. وسيكون من المفيد أن يكون لهذه الوحدة موقع على الشبكة العنكبوتية، ونشرات تعريفية في مستويات مناسبة للناشئة.

4. التأكيد على ضرورة أن نتناولَ ابن خلدون وأمثاله من الأعلام والشخصيات الفكرية والتاريخية بطريقة، تكشف عن الدلالة التي يقود إليها مآل الخبرة والتطور وترتبط بمشكلات الواقع الراهن وسبل الخروج منها.

5. التأكيد على ضرورة تضمين المساقات الدراسية الجامعية في أي مجال من مجالات التخصص من اقتصاد، وعلم نفس، وتربية، وسياسة، الخ، إسهامات العلماء المسلمين دون التقليل من شأن من سبقهم أو جاء بعدهم من علماء الأمم الأخرى وتوظيفها توظيفا عملياً، وذلك بهدف تحقيق الموضوعية العلمية وتجاوز مشكلات التحيز والمركزية الغربية.